

# الفرقة الناجية

أما بعد، فقد اعتقاد الفرفة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة: أهل السنة والجماعةُ الشَّرعُ \* فوله: \* (أما بعد،) هي كلمة يؤتى بها للاعتناء من أسلوب أو أسلوب آخر، ويؤتى بها في الغالب بعد مقدمة الخطب وحبوها. \* فوله: \* (فهذا) إشارة إلى الشيء الذي تصوره في ذهنه، وعزم على إلقائه، يعني: على فاصي واسط وعلى علية، ثم على كائنه. \* فوله: \* (اعتقاد) هو ما يعقد عليه الشخص يدين به، والاعتقاد في اللغة مشتق من العقد الذي هو إتيان الشيء وإحكامه وتقويته، أما في الاصطلاح: فهو التصميم الحازم الذي ينشأ عن التصديق الحازم الذي لا يقبل الشك. \* فوله: \* (الفرفة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة)، وصفهم بثلاث صفات هي: الأولى: أنهم ناجون، والثانية: أنهم مصورون إلى قيام الساعة، والثالثة: أنهم أهل السنة والجماعة. الفرفة: تكسر الفاء يعني: الطائفة من الناس، وذلك إشارة إلى قلتهم بين الحازم، وإن الذين حولهم متفرقون عن ذلك. فإن أهل السنة في كل زمان هم الأقلون، ولذلك شكَّوا فرفة، وقد أحرأ النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك في الحديث المشهور: { لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين، على الحق، لا يضرهم من حولهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك } أخرج مسلم برقم (1920) في الأمانة.
إن فوله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين،" عن نوحان رضي الله عنه.
الناجية أي: من بين الفرق الهالكة الذين تكرم النبي -صلى الله عليه وسلم- في فوله: \* ومتفرقون أصب على ثلاث وسبعين فرفة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: الجماعةُ { وفي رواية: { من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي } وأحدثت له روايات أخرى، وهو حديث حسن صحيح، وسُميت ناجية؛ لأنها تنجو من الشرك والباطل والمعاصي وفي الحديث: وهو في الآخرة من العذاب المنصورة إلى قيام الساعة، أي: المهيودة على من خالفها بالجنة واليان إن أتى بغير ما شاءه الله، أي: ساعة موته، وسُميت هذه الطائفة منصوره لأنها لا يضرهم من حولهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى كما أحرى بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- .
أهل السنة لعنة: الطريقة أو السيرة، واصطلاحاً لها عدة تعبيرات، الأولى: هي اجابت الرسول -صلى الله عليه وسلم-، والثاني: الأعمال المسحوبة أو التي ياتى بأعمالها ولا يعاقب نازكها، والقصد هو هنا هي الطريقة المحمدية التي قال فيها -عليه الصلاة والسلام-: { من بان الفرفة الناجية: } من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي { . الجماعة أي: المتصون على الحق، ولو كانوا قبلا بالنسبة إلى غيرهم، ولو كثر أعداؤهم وحوصمهم، هؤلاء هم أهل السنة. يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في النونية انظر الكافية الشافية لابن القيم (الونية) ص 119 . الأيمان رافم (1328 . 1329 . 1330)، هذا وسادس عشرها إجماع أهـ الحَقِّ أمتي شعبه البرضوان من كل صاحب سنة شهيدت له أهل الحديث وعسكر القرآن لا غيره بحالف لهم ولو كانوا عبد الله والعران فقد يوجد من يخالف في كثير من الأمانة، ولكن لا غيره بهم، وكما قال ابن مسعود -رضي الله عنه- " الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذٍ " . ولهذا لم يفتخر هذه الفرفة كما افتخر أهل البدع، فأهل البدع كالجهمية متفرقون، واعتزلة متفرقون، وغيرهم لمن ليس على الحق متفرقون، أما أهل السنة والجماعة فهم دائماً مجتمعون حتى وإن حصل بينهم خلاف فإنه خلاف لا يؤثر ولا يضر؛ بل يغير بعضهم بعضاً حيث إنه خلاف لا بدليل، ولا يضل بعضهم بعضاً، فتتسع صيوره لهذا الخلاف، فأهل السنة والجماعة هم فأهل الذين اعتقدوا واعتقدوا على ما جاءهم عن الله وعن رسوله، وتقلوه بدون تردد، ولم يغيروا ولم يتبدلوا سنة من ذلك، ولم يتعدوا، ولم يخجلوا مرجعهم الأول والأخير هو العقل، بل جعلوا ما جاء في الكتاب والسنة وهو الحكم وهو المرجع وردوا ما خالفه، ويدخل في أهل السنة والجماعة: الصحابة، فإنهم أئمة أهل السنة والجماعة، فإنه لم يظهر فيهم ولا بينهم بدعة.
ويدخل فيهم أيضاً: جل أتائهم، وهم تعبدت الصحابة إلا من أحرقت منهم، كالخوارج الذين قتلهم على رضي الله عنه، وهم كآب أهل النار لحديث عبد الله بن أبي أوفى -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الخوارج هم كآب النار"، أخرج ابن ماجه برقم (173)، وأحد في السنة (4/ 355)، والظواهر في التكير (8/ 324)، وابن أبي عمير في السنة (2/ 438)، وانظر المشكاة للأبائي (3554)، والسنة لابن أبي عمير (904) و (905)، وكأقضية مجوس هذه الأمة، والجهمية، وإن ذلك الوقت، ويدخل فيهم أيضاً: جل أتباع التابعين، فإن أتباع التابعين -عائلة- كلهم تنسك بالكتاب والسنة، وقد كانوا في القرن الثاني، وأثر أقل منهم القرن الثالث.
ويدخل فيهم أيضاً: الأئمة الأربعة: الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهؤلاء كلهم داخلون في مسمى أهل السنة والجماعة، بل هم أئمة السنة، ويدخل فيهم أيضاً الأئمة المتأخرين وهم، وهم علماء الأمة، الذين استنبطت كتبهم وبلغها المسلمون بالفن، كالإمام البخاري صاحب الصحيح، والإمام مسلم صاحب الصحيح، والإمام أبو داود صاحب السنن، والإمام الترمذي صاحب السنن، والإمام النسائي صاحب السنن، والإمام ابن ماجه صاحب السنن، وغيرهم كثير من أصحاب الكتب المعروفة، ولما يمدحهم ويشايخهم، كل هؤلاء من أهل السنة. ثم بعد ذلك في أكثر القرن الثالث وما بعده، حيث أصوات السنة وصوتت، وانتشرت البدع، وظهر المبتدع، وراحت أسوأهم، فظهرت عقالة حنيفة وانتشرت في الظاهر، وأما السلف فطريقة أهل السلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، ويقصدون بطريقة السلف: الإيمان بالآيات وأجابت الصفات على ما جاءت عليه، بدون التعرض لتكليفها ولا تعطلها ولا تأويلها، ويريدون بطريقة الخلف الخوص في معانيها وتحريرها (وسميته تايلاً)، فزعموا إن الخلف أولوا حتى حلفوا على حامل منتشرة في الظاهر، أما السلف فطريقة أهل الخوص في معانيها وقرءوها كما جاءت وافقوا على ما هي عليه، فيقولون: السلف أسلم؛ حيث أتوا من تكلموا بل فوضوا علم ذلك إلى الله، والخلف أعلم وأحكم؛ حيث أتوا من العلم ما أزالوا به الشبهة وردوا على الحالف والجواب عن ذلك بأن يقال: إن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم، فإن السلف ليس كما تطون أيها المتأخرون أنهم يفرقون الفاظ حوآ كما ليس لها معاني، بل السلف يعرفونها ويعلمون معانيها، ويعتقدون بدلوها، إلا أنهم لا يشبهون الله بخلفه، ولا يعطون أسماء وصفاته، ولا يقولون: إن ظاهر هذه الأسماء والصفات كفر، وأنها تنقض التشبه، بل يعرفون أنها دالة على صفات حنيفة، {لا أنها ليس كصفات المخلوق، بل هي صفات تليق بالخالق جل وعلا. فقد شبه هؤلاء المتأخرون السلف الصالحين الأيمنين الذين قال الله فيهم: } وَهُمْ أَقْبُونَ لا يُتَّقُونَ الْكِبَانَ { وَأَتَابُوا وَإِنْ هُمْ لا يَتَّقُونَ { (الفرقة: 78)، يعني: {لا تلاوة، والسلف ليسوا كذلك، بل عندهم معرفة وفهم وإدراك للحقائق، ولهذا فإنهم -رحمهم الله- فرءوا النصوص التي جاءت، وفهموا معناها، وسبغوا للناس أحسن بيان، ومن قرأ آتت السلف وأئمة أهل السنة والجماعة عرف ذلك، وانصرت على ذلك ملتبس: أحدهما: الإمام أبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعي وهو عالم جليل من أهل الشام ممن أدرك التابعين، يقول -رحمه الله- كما والتابعون متوافرون يقول بأن الله فوق عرشه، وتوسم ما جاءت به الآيات من الصفات: فهذا دليل على أن أئمة السلف يؤمنون بمدلول هذه الآيات من العلو والوقفة، وجوهاً، والثاني: الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك العالم الجليل من أهل حرسان -قال له: ماذا تعرف ربنا؟ فقال -رحمه الله- يعرفه أنه فوق سواته على عرشه، بأن من خلقه كما يليق به، ولا يقول كما تقول الجهمية، وهذا دليل آخر على أن السلف كانوا يؤمنون بمدلول هذه الآيات، وكذلك ما وقع من بعض الأئمة، أما أبي سنعذ بل يزدق كان قد عرف بالزندقة، ثم أظهر التوبة -بعد ذلك- لما جاء به ليستهن، قال له: أشهد أن الله على عرشه، بأن من خلقه، فقال ذلك الزندي: أشهد أن الله على عرشه، وأرى ما يأتي من خلقه، فقال: زدود إلى السجن، فإنه لم يبد، وأساء ذلك كثير، فمن بدأ عرف أن طريقة السلف أعلم وأحكم، فإنهم يفرقون النصوص ويؤمنون بمعناها، إلا أنهم يبنون عنها التحريف والتشويه، أما الخلف الذين يرجعون إلىهم أعلم وأحكم، فهؤلاء أهل الكلام الذين كثر في مسائل الصير لأظهرهم، أولئك المتكلمون الذين أجدوا أو يرتوا علم الكلام عن اليونان وعن الفلاسفة، وأجدوا عن أهل الكتاب وجوههم، ثم دسوا ذلك في الإسلام، ثم تعرفوا وأطالوا البحث في ذلك، فكانت يهانبهم الشك والحرية والاضطراب، ولهذا قال بعضهم: أكثر الناس شكا عند الموت أهل الكلام ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص: 15، لأنه يموت أحدهم وهو على غير عقيدة، روي أن أحدهم دخل عليه بعض العامة وهو على فرائض الموت، فقال: إنك العامي؛ ما تعتقد؟ قال: اعتد أن الله ربى، وأنه على عرشه، وأنه باتن من خلقه، وأنه كذا وكذا. عند ذلك قال له ذلك المتكلم: هنيئاً لك، لكني والله ما أرى ما اعتقدت! وأحد بكرير ويررد فوله: ما أرى ما اعتقدت حتى عني عليه ومات وهو لا يدري ماذا يعتقد، ومثله ما نقل عن الحموي صاحب "الزوقات"، أنه قال: لقد حصدت البحر الحزم، وتركت أهل الإسلام وعقولهم، وخصت في الذي يهوس عنه، وأنا إن لم تدركني رحمة ربى فالويل لي، وما أنا ذا أموت على عقيدة أمي أوردته شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص: 15، وفي رواية: وما أنا أموت على عقيدة عجائز يعتقد، ومثله ما نقل عن نيسابور: أنه من أهل نيسابور في إيران ومظفر هو جامع الغزالي المشهور صاحب كتاب إحياء علوم الدين، هذا العالم كان في أول أمره مشتتاً بالفلسفة وعلم الكلام، حتى تمكّن ذلك العلم عنه، وفي أواخر حياته أراد التخلص منه فصعب عليه ذلك، عن أنه رد على الفلاسفة في كتاب مطبوع بعنوان (تهافت الفلاسفة)، ولكنه خاص في علم الفلسفة ففيه في قلبه سيرة من آثار تلك العلوم التي جاض فيها، ثم قدم فيما بعد على اشتغاله بتلك العلوم، وقد ذكرها أنه -رحمه الله- مات، وصحیح البخاري على صدره، وبرخو من الله تعالى أن يوتى عليه، ومثله أيضاً الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير المشهور وله أيضاً كتاب في العقيدة اسمه "تأسيس القديس" الذي رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب اسمه "نصي الإيسين"، فهذا العالم الكبير المشهور كان قد نحر وتفرع في علم الكلام، ويحت فيه وجاهي بعمارة، حتى وقع فيما وقع فيه من فيله، فيقول: "لقد رأمت الطرق الكلامية، والماجج الفلسفية، فما رأيتها تروي غيلة، وأريت أقرب الطرق في طريقة القرآن، إقرأ في الإيمان: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ الْمُنْتَوِي } (ملئ: 15) { كل شيء هاك لا وجة } { القمير: 188} وإقرأ في المنى: { أَلَمْ نَكُفِّرْ شُرَكَاءَ وَمَنْ قَوْا الشُّعْبَ الْمُصِرِّ { (السمري: 111) { ولا يظنون به علناً } (لقه: 110) ومن جرب مثل جربتي عزوب مثل معرفتي \* ثم قال: نهابة إقدام العقول عقاباً وأكثر، شقى العالمن حلالاً وأرواحنا في وحشة من صوبها وعابسة دنياباً أدى ووسال ولم يتسعد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قبل وفالوا أوردته شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص: 15، فعرءنا بذلك أن هؤلاء الذين يرجعون أن طريقة السلف أسلم، وطريقهم أعلم وأحكم، أنهم هم أهل الجبره والنسك، وأهل الرب والبر، والبردد، وطريقة السلف هي الجامعة للأصافي كلها، فهي الأسلم والأعلم والأكثر، والسلف -رحمهم الله- هم الذين ورثوا العلم، وورثوا العمل، وورثوا العقائد الصحيحة عن الصحابة والتابعين، فكانت عقائدهم سليمة صافية كما كانت في الكتاب والسنة، وليس العجب ممن هلك بكف كلفه، وأما العجب ممن يتأ بما جفا فعرفنا بذلك أن طريقة السلف هي التمسك بالحقين، والسير على مهناجهم سواء في القول أو في العمل. ثم طريقهم هي تلك هي المتمترية، فإنك متى عرفت أهل السنة، فإنك متى عرفت أهل الأربل ووطائفهم، كان نتيجة هذه المعرفة هي إك تعينهم وتسير على بهجهم، ومتى عرفت القرآن ترجمته، وأنه منزل من لدن حكيم حديد، كان نتيجة ذلك أنك تتلووه حق تلاوته، وتصق ما جاء فيه من الأخبار السابقة والأخفة وأحكامه، وطريقة السلف هي المتمترية لسعادة الدارين، أما طريقة هؤلاء فإنها تصعب تصديقهم بالأمر العسية، فيقل أتباعهم بالقرآن والسنة، فيقل أفعالهم وأمثالهم لأوامر الله؛ لأن الأعمال تعتمد على العقيدة، فإذا كانت العقيدة راسخة في القلوب، أو أنه ذلك في الجوارح، فعملت بطاعة الله، وبعض رأيت من بعض أهل بيحارهم بذلك، فإن ذلك يدل على ضعف عقيدته، وأنه ما عرف الله حق معرفته بأنّه ومخلوقاته، ما عرف عظمته من بعضه، ما عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكما له وحلاله وكبرياته وعظمته، ما عرف واعتقد أن الله نيب الطابع ويعذب العامصين، أو أنه عرف ذلك ولكنه لم يتحضره، وذلك لضعف عقيدته وانصع إيمانه، فعرفنا بذلك أهمية معرفة العقيدة الصحيحة السلفية عقيدة السلف الصالح، وأن أصحاب هذه العقيدة هم أهل السنة والجماعة، وهم الفرفة الناجية والطائفة المنصورة الفائزة بسعادة الدارين، الناجية من العذاب يوم القيامة، والمنصورة في الدنيا قبل الآخرة، سأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زميرهم، أنه ولي ذلك والقادر عليه.